مقدمة:

تتغنى العديد من الجهات والمؤسسات وكذا بعض الشخصيات بالإنفراد بالخبر من مصدره، فيقال هذا الخبر من مصدره، وهذه أول جهة نشرت الخبر، والكل أخذ عنها فيما بعد، والتاريخ يدون من المصادر، والأنباء والأخبار تنقل وتسجل من منابعها الأصلية في علوم عدة، ولا شك أن علم التاريخ هو الأجدر بهذا الشأن، من هذا المنطلق احتوت هذه المحاضرات الموجهة إلى السنة أولى ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث على العديد من المعارف والمعلومات عن مصادر تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة من 1516 إلى 1830 بدءا بالمفاهيم اللغوية والاصطلاحية المتعددة والمتنوعة لكلمة المصدر، ثم الفرق بين المصدر والمرجع وتشابك هذا مع ذاك عند الكثير من الطلبة والباحثين.

ونظرا لأهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث في جوانب كثيرة، سياسية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، دينية، مالية وقضائية...، فقد تضمنت هذه المحاضرات القيمة التاريخية والعلمية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث في الميادين المذكورة آنفا.

تنوعت مصادر تاريخ الجزائر الحديث بين الوثائق المختلفة والمخطوطات المتنوعة وكتب الرحالة عربا وأجانب، وكذا مدونات المؤرخين، الحجاج، العلماء، طلبة العلم، تقارير القناصل والسياسيين والمبعوثين الدبلوماسيين، وسجلات التجار والعسكريين ...، وغيرهم ونظرا لطول المدة التي تغطيها الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر؛ من بدايات القرن السادس عشر ميلادي إلى العشرية الثالثة من القرن التاسع عشر ميلادي، فإنه قد وجب التأكد من صحة الأخبار والأنباء والمعارف والمعلومات الموجودة في ثنايا هذه المصادر بالمقارنة والتمحيص والتحقق والاستعانة بمصادر أخرى كالآثار والبقايا المادية التي تسهل من هذه العملية.

والحقيقة التاريخية المعروفة لدى جل الباحثين أن مصادر تاريخ الجزائر الحديث موجودة في عدة أماكن داخل الجزائر منها: مدينة الجزائر(دار السلطان)، مدينة قسنطينة (عاصمة بايليك الشرق)، مدينة وهران (عاصمة بايليك الغرب)، مدينة المدية (عاصمة بايليك التيطري) وفي مدن أخرى كثيرة، ولعل الزوايا والمكتبات والمدارس التي كانت منتشرة بكثرة احتوت هي الأخرى على مصنفات متنوعة ومختلفة عن مصادر تاريخ الجزائر الحديث في كامل ربوع الجزائر شرقا، غربا، وسطا وجنوبا (أي في الصحراء الجزائرية) وكانت تعرف بالخزانات.

وللأسف الشديد توجد مصادر تاريخ الجزائر الحديث في القارة الأوروبية؛ في كل من اسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا وعدة دول أوروبية أخرى بحكم أن الوثائق والكتب أخذت طرق ملتوية تصعب عملية تتبعها.

ولا يفوتنا في هذا الشأن أن نذكر بأن لفرنسا السبق الكبير والجرم العظيم في ضياع وتلف الكثير من وثائق ومصادر تاريخ الجزائر الحديث، وما بقي تحتفظ به في عدة مراكز تابعة لها في مرسيليا، إكس– آن–بروفانس وباريس في بعض مكتباتها ومراكزها.

كما وجدت مصادر تاريخ الجزائر الحديث في دول المشرق العربي، ولعل في مقدمتها مصر أرض الكنانة، في مكة المكرمة والمدينة المنورة لكونها مناطق استقطبت العلماء وطلبة العلم والحجاج، كما وجدت أيضا في دمشق وتركيا وهذه الأخيرة التي كانت تسمى بالدولة العثمانية، والتي لتزال تحتوي على الآلاف من الوثائق والمخطوطات بحكم تبعية الجزائر لها طيلة ثلاثة قرون وأزيد.

ومما لا شك فيه أن وثائق ومصادر تاريخ الجزائر الحديث موجودة في أماكن أخرى وطنية، إقليمية ودولية بحكم صعوبة تتبع أماكن التواجد وانتقال المصادر من منطقة إلى أخرى بانتقال الأشخاص والجماعات والمهتمين بهذا الشأن، وعلى وجه التحديد الأجانب.

والأخطر من كل هذا، كيف نعلم الغث من السمين من هذه المصادر التي تحوي في ثناياها الزيف والبهتان والافتراء، كما تحوي أيضا الصدق والحقيقة عن تاريخ الجزائر الحديث، ولا يتأتى هذا الأمر الجلل إلا بالتمحيص والتحقق والمقارنة والتأني في إصدار الأحكام. والله المستعان وهو الهادي إلى الحقيقة والسبيل.

المحاضرة الأولى: تعريف المصدر

هدف المحاضرة 1:أن يتعرف الطالب على تعريف المصدر لغويا واصطلاحيا، ويدرك الفرق بين المصدر والمرجع

يقال بأن التاريخ يؤخذ من المصادر التي عاشت الحدث، ومن المخلفات التي تركتها الحادثة التاريخية، وعلى هذا الأساس قد تتنوع هذه المصادر فنجدها في الآثار باختلاف أنواعها، كما نجدها في الكتابات بتعدد مشاربها واتجاهات أصحابها، كما نجدها في الروايات بتنوع أفكارها وأخبارها، وفي السجلات والوثائق الأرشيفية بتباين معلوماتها ومعارفها...، ومن خلال ما تقدم يمكن طرح التساؤلات التالية: ما هو تعريف المصدر؟ (أو بالأحرى المصادر)، وفيما تكمن أهمية المصادر عموما في كتابة تاريخ الجزائر الحديث؟ وما هي أنواع هذه المصادر؟ وأين نعثر على مصادر تاريخ الجزائر الحديث؟ ثم بعد ذلك نختار بعض مصادر تاريخ الجزائر الحديث نحللها، نناقشها وننقدها. ويبدو أن المصادر تحمل في طياتها بعض الأخبار والأحكام المغلوطة والدسائس الموضوعة عن قصد وعن غير قصد، هذا ما نود التعرف عليه في هذه المحاضرات.

أولا-تعريف المصدر:

***التعريف اللغوي والاصطلاحي:**

لقد وردت عدة مفاهيم للمصدر في المعاجم اللغوية، لكننا سنركز على المفاهيم القريبة من محتوي مقياس مصادر التاريخ حتى نسهل عملية الفهم، وعليه:

-المصدر: اسم مكان من صدر/ صدر إلى/ صدر عن/ صدر في/ صدر من: ما يصدر عنه الشيء.

مصادر الرزق: أسباب العيش وموارده.

مصدر المتاعب: مصدر المشاكل وسببها.

مصدر: **كتاب كالقاموس أو الموسوعة يمكن الرجوع إليه للمعلومة الموثقة**[1].

وهناك من يقسم المصادر إلى قسمين، أولية وثانوية، مثلما ورد في معجم المعاني الجامع وعليه فهي كالتالي:

***المصادر الأولية:** هي المصادر التي تتضمن المعلومات الأساسية والبيانات المستقاة من التحليلات والإحصاءات عن الموضوع.

***المصادر الثانوية:**هي المصادر التي تتضمن التعليقات والتفسيرات الخاصة بالموضوع [2].

وقد ورد تعريف المصدر في المعجم الوسيط معجم اللغة العربية كما يلي:" المصدر في اللغة موضع الصدور. يقال: أصدره فصدر، أي: رجعه فرجع، والموضع: المصدر".

المصدر: ما يصدر عنه الشيء. وعند علماء اللغة: صيغة اسمية تدل على الحدث فقط [3].

وعند محمد سعيد بلال الجنيدي في مصنفه الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، فإن المصدر هو اللفظ الدال على الحدث مجرد من الزمان متضمنا أحرف فعله، مثل: علم، علما...[4]

وقد ورد تعريف المصدر عند ابن منظور بأنه من الفعل: صدر: الصدر أعلى مقدم وما أشبه الشيء وأوله، حتى أنهم يقولون: صدر الليل والنهار، وصدر الشتاء والصيف، ذلك مذكرا [5]

إذن المصادر هي **الأصول**، وهي التي تزود الباحث بالمعلومات والمعارف **لأول مرة**، دون غيرها، أي أنها تحتل **المرتبة الأولى في تقديم المعلومة والخبر**، لذلك عادة ما نسمع مقولة **هذا الخبر من مصدره**، غير أن هذا الأخير يتعدد ويتنوع.

ثانيا-الفرق بين المصدر والمرجع:

كثيرا ما يتشابك على الباحثين والدارسين التفريق بين المصدر والمرجع، والحقيقة تقول أن التاريخ يكتب من مصادره، لذلك نجد المصدر يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط وهي:

1-**إما أن يكون مشاركا في الحدث**، ولنقدم مثالا عن تاريخ الجزائر الحديث:

-ابن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي 1785**[6]، وهي رحلة يتحدث فيها كاتب محمد الكبير الشيخ ابن هطال التلمساني عن الحملة العسكرية التي قام بها ولي نعمته إلى الغرب والجنوب الغربي من الصحراء بصفته مشاركا في هذا الحدث لتحصيل الضرائب والدنوش وقتها، وعلى وجه الخصوص من القبائل الممتنعة عن ذلك.

ROZET M , Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays par l'armée françaises en Afrique[7]

وهي معلومات يقدمها ضابط الهندسة العسكرية الفرنسي النقيب روزيه للسلطات الفرنسية عن الجزائر سنة 1830، بصفته مشاركا في الحملة الفرنسية التي جرت أحداثها في مطلع العشرية الثالثة من القرن التاسع عشر، وهي تحمل في طياتها العديد من المعارف والمعلومات وكذا الأخبار المتنوعة في جوانب كثيرة، تاريخية، جغرافية، اقتصادية، سياسية، عمرانية، ثقافية ودينية وغيرها...

2- **إما أن يكون معاصرا للحدث:** ولنقدم مثالا عن تاريخ الجزائر الحديث بحكم أن المقياس هو مصادر تاريخ الجزائر الحديث:

-عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**[8]، وصاحب هذا المصدر من علماء مدينة قسنطينة الأجلاء في القرن 10هـ/ 16م، تحدث فيه عن من عاصره من العلماء، ومن عرفهم ومن لم يعرفهم، كما ذكر فيه المبتدعين والدجاجلة على حد ذكره، ممن ينسبون إلى العلم وهم ليسوا أهلا لذلك.

3-إما أن يكون شاهد عيان للحدث، مثل:

-عبد الرحمان بن إدريس التنلاني التواتي، **رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنلاني التواتي إلى الجزائر العاصمة سنة 1816** [9]، وقد شاهد هذا حملة اللورد اكسموث وتحدث عنها، وأورد تفاصيل دقيقة عنها.

-وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**[10]، وهو أيضا تحدث عن حملة اللورد اكسموث وشاهدها لأنه كان مقيما في مدينة الجزائر وقتها، والمعلومات التي يوردها في هذا السياق منها ما يتفق مع عبد الرحمان بن إدريس التنلاني التواتي، ومنها ما يختلف معه[11].

وفي بعض الأحيان قد تختلط على الباحث والمؤرخ إشكالية المصدر الذي قد يكون صاحبه عاصر الحدث ولم يشاهده ولم يكن مشاركا فيه إطلاقا، بل سمع عنه فقط، والمقولة المأثورة تقول: **ليس كمن رأى كمن سمع** ، وفي نفس السياق نجد مقولة: **رب سامع أوعى من مبلغ،** وهنا يكمن دور المؤرخ الذي يبحث عن حقيقة الحدث، فعليه أن لا يصدر الأحكام حتى تتبين له الواقعة كيف وقعت، وفي اعتقادنا يجب أن تكون أحكامه نسبية وليست مطلقة.

بينما **المرجع:** هو الذي يتناول معلوماته ومعارفه من المصادر، ثم يقوم صاحب المرجع بمقارنتها وتحليلها ومناقشتها، وهذا في اعتقادنا هو المرجع المفيد والمتميز، وهذا ما نعثر عليه خصوصا في الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية[12].

ملاحظة:

قد تتغير حالة المصدر فيصير مرجعا، إن هو أخذ المعلومات والمعارف من مصادر أخرى

مثال رقم1: وليام شالر في كتابه: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824**، الذي أخذ عن الدكتور توماس شو[13] بعض المعارف، هذا الأخير الذي زار الجزائر ومكث فيها بين 1720و1732.

مثال رقم2: أبي الحسن التمقروتي في كتابه: **النفحة المسكية في السفارة التركية**[14]، عندما تحدث عن الجزائر ومدنها سنة 1589، كان في مرات عدة يقتبس من كتاب أبي البقاء خالد البلوي[15] الذي سبقه في الحديث عن ذلك، والتمقروتي يشير إلى هذا بكل أمانة.

الهوامش والإحالات الخاصة بالمحاضرة الأولى:

(1)-**معجم المعاني الجامع**، معجم عربي-عربي(كتاب إلكتروني).

(2)-نفسه.

(3)-**المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية**، القاهرة، 1379هـ/1960م، (كتاب إلكتروني).

(4)-محمد سعيد بلال جنيدي، **الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**، دار العودة، بيروت، 2004، (كتاب إلكتروني).

(5)–جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "صدر".

(6)–ابن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الغرب والجنوب الصحراوي 1785**، تحقيق محمد بن الكريم، مطبعة ارتياد الآفاق، د.ت.

(7)– ROZET M, **Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays par l'armée française en Afrique**, 3T, Paris, Arthus Bertrand ,1833

.

(8)–عبدالكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعدالله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

(9)–عبد الرحمان بن إدريس التنلاني التواتي، "**رحلة عبد الرحمان بن إدريس**"، تحقيق: مختار حساني، حوليات جامعة الجزائر،العدد16، ج1، 2006.

(10)–وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1824/1816**، تعريب وتقديم وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

(11)–فاتح بلعمري، "**حملة اللورد أكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي–دراسة مقارنة–**"، مجلة معارف، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، العدد17، ديسمبر 2014، ص ص17– 40.

–فاتح بلعمري،" **حملة اللورد أكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي–دراسة مقارنة–**"، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد 23سبتمبر 2016، ص ص65–75.

(12)– فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017/2016.

(13)–THOMAS SHOW, **Travels or observations relating to several parts of Barbary and the Levant**, oxford,1738, 2éme edition 1743, trad, Français, abrégée, par, Mac Carthy, Paris, 1830

(14)–أبي الحسن علي التمقروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحامي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988.

(15)–أبي البقاء خالد البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، مخ. م.و رقم: 4641566